بسم الله الرحمن الرحيم

مستقبل الدعوة الإسلامية في الغرب على ضوء المتغيرات الدولية

أ. د. أحمد جاب الله

مدير المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية بباريس/ فرنسا

مستقبل الدعوة الإسلامية في الغرب على ضوء المتغيرات الدولية

أ. د. أحمد جابالله

إن الدعوة إلى الله تعالى، وهي كما عرّفها بعض أهل العلم: تبليغ الإسلام إلى الناس وتعليمهم عقائده وأحكامه وأخلاقه، ومساعدتهم على تطبيقه في حياتهم العملية[1]، تعتبر من الواجبات الشرعية المطلوبة من المسلمين أفرادا وجماعات أينما وجدوا، ولئن كان لاختلاف البيئات أثر في تحديد مجالات الدعوة وأولوياتها وأساليبها، إلا أن ذلك لا يغيّر من مكانتها وضرورتها. إن الله عز وجل وهو يمتنّ على الأمة الإسلامية بأن جعلها أمة وسطا، قد ربط هذا التفضيل وهذا التكريم بشرط الشهادة على الناس بالحق، يقول الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

البقرة: ١٤٣ .

قال الفخر الرازي في تفسير الآية:

(خطاب لجميع الأمة أولها وآخرها، من كان منهم موجوداً وقت نزول هذه الآية ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة)[2]

وإن صفة الشهادة التي وصفت بها الأمة تحمل معاني عظيمة حَريّة بالتأمّل، إذ أن الشاهد الحق لا يشهد إلا بما يعلم، ولا يمكن أن يشهد عن أحقية شيء إلا إذا كان متمثلا له، كما أن الشاهد هو الذي يُدلي بشهادة وليس هو القاضي الذي يحكم على غيره، فالحَكم هو الله عز وجل، وهذا يؤكد مبد أ الاختيار في الدعوة، قال تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الغاشية: ٢١ – ٢٢ .

[1] انظر: مدخل إلى علم الدغوة لأبي الفتح البيانوني
[2] مفاتيح الغيب للرازي

إن الحديث عن مستقبل الدعوة الإسلامية في الغرب على ضوء المتغيرات الدولية يقتضي التعرض أولا لحاضر الدعوة الإسلامية في الغرب من حيث واقعها وأثرها، ثم التعرض بعد ذلك لأهمّ المتغيرات الدولية ذات الأثر على الدعوة في الغرب، لنصل بعد ذلك إلى استشراف مستقبل الدعوة في ضوء هذه المتغيرات، وما هو مطلوب من المسلمين ليكونوا بحق شهداء على الناس.

حاضر الدعوة الإسلامية في الغرب:

إن العمل للدعوة الإسلامية تنتظمه دائرتان متلازمتان: دائرة المسلمين وما يحتاجونه من توجيه وتعليم وإرشاد، ودائرة المجتمع وما يحتاجه من شرح وعرض لحقائق الإسلام ومبادئه. ولا يمكن أن يُغني التحرك في الدائرة الأولى عن الاهتمام بالدائرة الثانية، كما قد يتصور البعض من باب إعمال مبدأ الأولويات في الاهتمام، وذلك لأن القصور في بيان الصورة الصحيحة للإسلام في المجتمع لا يؤثّر سلبا فحسب على غير المسلمين، ولكنه يؤثر أيضا على عموم المسلمين، الذين سينالهم بسبب هذا القصور ما ينال غيرهم من التشكيك والتشويه، وكلما كانت صورة الإسلام إيجابية وكان القبول به أفضل في المجتمع، كلما كان ذلك ميّسرا لدعوة المسلمين للالتزام بدينهم، إذ أن الكثيرين من المسلمين، لا يقوون على معاكسة تيار الهجوم على الدين فيتأثرون سلبا بما يسمعونه ويرونه من مواقف المناهضين والمنتقدين، ومن جهة أخرى فإن تأثير الدعوة على المسلمين تهذيبا وتمثّلا، يساهم بدوره في تغيير تلك الصورة النمطية المغلوطة عن الدين لدى المجتمع، ولذا فإن الجهد الدعوي لابد له أن يهتمّ بالصعيدين معا، لما لكلٍّ منهما من التأثير على الآخر، فما هو واقع الدعوة الإسلامية في الغرب اليوم على الصعيد الإسلامي وعلى صعيد المجتمع؟

أولاً: على الصعيد الإسلامي:

تقوم جهود الدعوة الإسلامية في الغرب على الصعيد الإسلامي من خلال المؤسسات التالية:

1 ـ المساجد والمراكز الإسلامية:

يظل المسجد هو المؤسسة الأولى التي يؤمّها المسلمون، باعتباره المكان الذي يقيمون فيه صلواتهم ويجتمعون فيه بمناسبة أعيادهم ومواسمهم وأفراحهم وأتراحهم.

ويختلف دور المسجد ويتفاوت تأثيره بحسب القائمين عليه، وبحسب الإمام الذي يؤمّ الناس فيه، فهناك مساجد يقتصر نشاطها على إقامة الصلوات، وهناك مساجد أخرى لها برامج وعظية وتعليمية منتظمة، كما أن مستوى خطيب الجمعة ومدى تمكنه من الثقافة الشرعية واستيعابه لواقع المسلمين في الغرب عموما وفي بلده خصوصا، يجعل أثره بين الناس مختلفا بحسب درجته من ذلك التمكن والوعي.

وللمسجد كذلك دور اجتماعي بين المسلمين، فالكثير منهم يلجأ إلى الإمام يستفتيه فيما يعرض له من القضايا الحياتية وخصوصا ما يتعلق بالمشكلات الأسرية، وقد يكون الإمام قادرا على إفادته وحسن توجيهه، وقد يكون عاجزا عن القيام بهذا الدور فلا يفيد سائله بشيء أو قد يكون توجيهه له غير مناسب لمقتضى الواقع والحال.

وللمسجد أيضا دور في مجال التعريف والدعوة للإسلام، ولكن هذا الدور يظل كذلك مرتبطا بمستوى القائمين عليه وقدرتهم على الانفتاح على الناس واستقبالهم والرد على استفساراتهم.

وإن الناظر لأوضاع المساجد والمراكز الإسلامية في الغرب يجد أن الكثير منها لا تستطيع أداء هذه الأدوار المناطة بها، ولكن هناك تحسن تدريجي يُلاحظ في هذا المجال يؤمل أن يستمر مع وصول أجيال جديدة من المسؤولين ومن الأئمة والخطباء، الذين يملكون الكفاءة على حسن التسيير والتوجيه.

2 ـ المؤسسات التعليمية والتربوية:

لقد كان التعليم ولا يزال هو الدعامة الكبيرة في حفظ هوية أي مجموعة بشرية تريد التمسك بعقائدها وثقافتها، ولقد كان التعليم من أبرز الأنشطة التي اتجهت إليها جهود الأقليات المسلمة في الغرب وينقسم النشاط التعليمي على ثلاثة مجالات:

أ ـ التعليم الديني الذي تقوم به المساجد والمراكز الإسلامية، ويتولى تدريس الأبناء القرآن الكريم ومبادئ التربية الإسلامية. وقد تطور أداء بعض المراكز الإسلامية في هذا الجانب بحيث أصبح نشاطها التعليمي يقوم على إطار تعليمي متكامل ومتخصص.

ونشأت كذلك بعض المدارس التكميلية التي تقوم بهذا الدور وتتخصص فيه، وهذا يدل على الطلب الشديد من المسلمين لتوفير الفرص لأبنائهم ليتعلموا مبادئ دينهم منذ الصغر.

وقد أصبح كذلك من اهتمامات القائمين على التعليم في هذا المجال توفير حصص للدعم الدراسي لمساعدة التلاميذ في موادهم التعليمية التي يدرسونها في المدارس العامة، لمساعدتهم على النجاح والتفوّق.

ب ـ المدارس الإسلامية الخاصة، والتي أصبحت تتزايد أعدادها في جميع الدول الغربية، وذلك لشعور المسلمين بأهمية التعليم من جانب، واتجاههم الواضح نحو الاستقرار الذي جعلهم يفكرون بجدّ في ضرورة الحفاظ على النشأ المسلم، ليظل مرتبطا بدينه وهويته الإسلامية، وقد استفادت المدارس الإسلامية الخاصة، كغيرها من المؤسسات التعليمية الخاصة، من الدعم الحكومي الموجّه للتعليم الخاص، وتمكن بعضها من إحراز تفوق واضح في المستوى التعليمي، مما جلب لها الاحترام والتقدير من المسؤولين عن الدوائر التعليمية في الدولة.

وإن المؤمّل هو أن تستمر جهود المسلمين في هذا المجال وأن يتمكنوا من توفير تعليم نموذجي راقي، فيقدمون بذلك خدمة لأبنائهم ولمجتمعاتهم الغربية، إذ أن ارتفاع المستوى التعليمي في أي بلد هو أحد المؤشرات المهمة على تقدمه وتفوقه.

ج ـ المؤسسات التعليمية الشرعية، التي ظهرت في بعض الدول الغربية، والتي تهدف إلى التخصص في التعليم الشرعي ونشر الثقافة الإسلامية وتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، وإن نشوء مثل هذه المؤسسات إنما جاء استجابة لحاجة ملحّة في تكوين الأئمة والخطباء والدعاة والمدرسين الذين يقومون على التوجيه والتعليم في أوساط المسلمين في الغرب، وكذلك استجابة لحاجة الكثير من المسلمين في الغرب، وخصوصا من الأجيال الجديدة، إلى تعلم مبادئ دينهم في مؤسسات تعليمية موثوقة،

تقدّم لهم تعليما شرعيا منطلقا من مصادر الإسلام الصحيحة على أيدي متخصصين في العلوم الشرعية.

وقد أصبحت هذه المؤسسات التعليمية الشرعية تمدّ الجاليات المسلمة في الغرب بعدد من الأئمة والدعاة وساهمت في نشر الثقافة الإسلامية في الوسط الإسلامي.

3 ـ المؤسسات الإعلامية:

للإعلام دور كبير في عالمنا المعاصر، وخصوصا في البلاد الغربية التي يمثل الإعلام فيها قوة ضاغطة لها تأثيرها على صياغة الرأي العام وعلى توجيه السياسيين وأصحاب القرار، والمسلمون في الغرب هم أحوج ما يكونون إلى إعلام قوي يساعدهم على كشف حقائق الإسلام والرد على ما يلصق به من الشبهات والأباطيل، ولذلك حاولت بعض المؤسسات الإسلامية أن تُقيم أنشطة إعلامية عن طريق إصدار النشرات والكتب، وإصدار الصحف والمجلات، وعقد المحاضرات والندوات والمؤتمرات، وكذلك تأسيس مواقع على شبكة الأنترنت التي أصبحت اليوم من الساحات الإعلامية المهمة، كما حاولت بعض الجهات الدخول في مجال الفضائيات عن طريق تأسيس قنوات بث تلفزي.

ولكن المتابع لهذا النشاط الإعلامي الإسلامي في الغرب، يجد أنه يفتقر غالبا إلى التخصّص الحرفي، وإلى الإمكانات المالية التي تجعله قادرا على الأخذ بأسباب التأثير الواسع، خاصة وأن الصناعة الإعلامية قد أصبحت اليوم فنّا تشتدّ فيه المنافسة بين مؤسسات ضخمة ذات قدرات وكفاءات عالية.

4 ـ المؤسسات الثقافية والاجتماعية:

بدأت تظهر في أوساط المسلمين في الغرب مؤسسات تخصّصية تعنى بالجانب الثقافي والاجتماعي، وذلك في مجال الاهتمام بالنشأ وبالشباب، وبالمرأة والأسرة المسلمة. ويأتي هذا الاهتمام استجابة لحاجة عموم المسلمين إلى دعم في هذا المجالات الحساسة، وقد كانت هذه الجوانب تدخل ضمن أنشطة بعض المراكز الإسلامية، ولكن الاتجاه العام يسير نحو مزيد من التخصص في إقامة مؤسسات تعمل في هذه الميادين. ومن المشاريع التي تندرج

في هذا المجال، إقامة مراكز ثقافية ترفيهية تستوعب الشباب المسلم وتقدّم لهم بديلا مناسبا يلبي طلبهم في الترفيه، ولكن في جوّ إسلامي نظيف، وكذلك إقامة مشاريع لتشجيع الإنتاج الثقافي والفني، في ظل مجتمعات تُقيم اعتبارا للعمل الثقافي والفني، وكذلك إقامة مؤسسات اجتماعية تتصدى لبحث مشكلات الأسرة المسلمة وتقدّم لها الدعم التربوي والنفسي اللازم.

ثانيا: على صعيد المجتمع:

مع أن جهود الدعوة الإسلامية في الغرب تنصرف أساسا إلى العناية بالمجال الإسلامي، نظرا للحاجة الكبيرة في هذا المجال، إلا أن المؤسسات الإسلامية تعي كذلك أن من واجباتها أن تنفتح على المجتمع وأن تتواصل معه لبيان طبيعة معتقداتها وحقيقة مواقفها، ولكن الجهود المبذولة في هذا الميدان تظل قاصرة عما هو مطلوب أمام الصخب الإعلامي الذي يحيط بالظاهرة الإسلامي وما يصحبه من تشويش وتشويه.

وإن من الأنشطة التي تقيمها المؤسسات الإسلامية باتجاه المجتمع:

1 ـ الندوات والمحاضرات:

وذلك من خلال طرح بعض الموضوعات العامة التي تجيب على تساؤلات غير المسلمين سواء فيما يتعلق بجوانب دينية بحتة تتصل بالعقائد والعبادات الإسلامية، أو بخصوص قضايا فكرية واجتماعية تتعلق بالإسلام والمسلمين وتحتاج إلى بيان وإيضاح. ويظل أثر هذا النشاط مرتبطا بنوعية الطرح والتناول شكلا ومضمونا، ولكن هناك أعداد من الناس تُبدي اهتماما بهذه الأنشطة، لأنهم يشعرون بحاجة إلى التعرف على هذا الدين، الذي يكثر الحديث عنه في وسائل الإعلام المختلفة.

2 ـ لقاءات الحوار الديني والفكري:

يشارك عدد من المسلمين في لقاءات الحوار الديني ، وخاصة في مجال الحوار الإسلامي المسيحي، وقد أصبحت اليوم تقوم على تفعيل هذا الحوار جمعيات ومؤسسات أكثرها بمبادرة من المسيحيين، وتتنوع وسائل هذه الجمعيات في إقامة هذا الحوار، فبعضها يهتم ببناء

علاقات تعارف بين المسلمين وغيرهم، وبعضها تبحث قضايا دينية من خلال طرح موضوعات يتمّ تناولها في ندوات مشتركة من الزاوتين الإسلامية والمسيحية. وتشهد هذه اللقاءات إقبالا خصوصا من المسيحيين الذين يرغبون في التواصل مع المسلمين ومعرفة مواقفهم مما يُطرح في الساحة الفكرية والإعلامية من قضايا وإشكالات.

ولا تقتصر لقاءات الحوار على التجمعات الدينية، وإنما تشمل أيضا بعض المؤسسات الفكرية العامة التي تهتم بالوجود الإسلامي وتنظر إلى طبيعة تفاعله مع المحيط الإجتماعي وترغب أن تبني علاقات مع المسلمين من أجل تفعيل دورهم الاجتماعي في ظل مجتمعات تعددية تحكمها أنظمة علمانية.

ويمكننا القول أن المسلمين في هذا المجال، هم في الحقيقة يستجيبون لمبادرات يأخذها غيرهم، وليسوا هم المبادرون في الغالب بإقامة مؤسسات حوارية تجمعهم مع غيرهم، ولا ضير في ذلك إذا كانت الأهداف واضحة، وكان المتصدي لهذا الحوار على درجة من الكفاءة والوعي بما هو مطلوب.

3 ـ التواصل الإعلامي:

بحكم الاهتمام المتزايد بالإسلام، من خلال ما يجري من أحداث متتابعة في العالم الإسلامي أو ما يتعلق بالوجود الإسلامي في الغرب، فإن المسلمين مستهدفون بالاتصال من قِبل وسائل الإعلام التي تتجه إليهم لتتعرف على مواقفهم مما يجري من أحداث. ولكن المؤسف أن قضية الإسلام لا تبرز على السطح إلا عند وقوع حوادث القتل والتفجير في هذا المكان أو ذاك، مما يجعل صورة الإسلام مرتبطة دائما بهذا الأوضاع الشاذة.

ومما يؤسف له أيضا أن أكثر وسائل الإعلام تتعمّد التوجه إلى أولئك الذين يثبّتون بتصريحاتهم ومواقفهم تلك الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين، مع أنهم لا يمثلون إلا قلة قليلة من المسلمين، أو أنها تتجه إلى فريق آخر من المسلمين ممن يصفونهم عادة بـ"المعتدلين"، والذين لا يتورعون على الانتقاص من الإسلام والتهجم على المسلمين وتحميلهم مسؤولية ما يحدث من أحداث العنف والإرهاب، وغير ذلك مما يلصق بالمسلمين من التّهم.

ولذلك فإن بعض الهيئات الإسلامية تحاول أن تبادر بالقيام بجهد إعلامي تعلن فيه عن حقيقة موقف الإسلام والمسلمين مما يجري من أحداث، كما أن العديد من المؤسسات الإسلامية تصدر بيانات بمناسبة حصول أحداث عالمية أو محلية لتوضيح رؤيتها، وقد ساهمت المواقع على شبكة الإنترنت في سهولة إيصال صوتها، ولكنه يظل في دائرة محدودة نوعا ما، لأن وسائل الإعلام الكبرى من محطات تلفزيونية وإذاعية وصحف ومجلات، تملك قدرة أوسع على التأثير على الرأي العام بل صياغته باتجاه ما تريده.

4 ـ المشاركة السياسية:

لا ينخرط المسلمون في الغرب في الشأن السياسي انطلاقا من صفتهم الدينية ولكن باعتبارهم فئة من فئات المجتمع ذات خصوصية دينية، ولكن عموم الأنظمة السياسية في أوروبا، تفضّل أن تتعامل مع المسلمين في المجال السياسي من منطلق المواطنة، التي لا تفرق بين مواطن وآخر، وليس بناء على اعتبارات دينية أو عرقية أو ثقافية. هذا من حيث المبدأ أما من حيث الواقع فالمسلمون في أغلب الدول الغربية لهم حضور ضعيف في الحياة السياسية، ويرجع هذا الضعف إلى أسباب عديدة، بعضها عائد إلى الجاليات المسلمة التي لا تزال تمرّ بمرحلة انتقالية بين الوجود المؤقت كمهاجرين والوجود الدائم كمواطنين مستقرين، وتعود الأسباب الأخرى إلى طبيعة تعاطي المجتمع وهيئاته السياسية مع المواطنين الوافدين وخصوصا المسلمين منهم، حيث لا تزال العديد من الأحزاب لا تتقبل بسهولة أن يكون من بين أعضائها الفاعلين أشخاص مسلمون، فضلا عن ترشيحهم في الانتخابات الهامة كالانتخابات البرلمانية.

ومع ذلك فإنه بالإمكان القول، أن الحضور السياسي للمسلمين مرشّح للنمو، بعد أن أصبحوا يشاركون في الانتخابات المحلية وأصبح عدد منهم يصل إلى مقاعد المجالس البلدية. كما أن بعض الهيئات الإسلامية تحاول تحسيس المسلمين وتوعيتهم بضرورة وأهمية مساهمتهم في الشأن السياسي من خلال المشاركة بالتصويت على الأقل.

هذه صورة موجزة على حاضر الوجود الإسلامي في الغرب وما يتّسم به من خصائص، ولا شك أن هذا الوجود تعتريه من عوامل التفاعل والنمو ما يجعله مرشحا لأدوار قادمة يكون فيها أكثر رسوخا وأبعد تأثيرا في واقعه، خصوصا بوجه التحديات التي تعترضه والتي تضطره إلى الاستجابة لمقتضياتها، وهو ما يجرّنا إلى الحديث عن المتغيرات الدولية المؤثرة على الدعوة الإسلامية في الغرب.

المتغيرات الدولية ذات الأثر على الدعوة الإسلامية في الغرب:

إن المقصود بهذه المتغيرات هي مجموعة العوامل الحاضرة التي لها أثر مباشر أو غير مباشر على الوجود الإسلامي وعلى الدعوة الإسلامية، سواء كان ذلك الأثر إيجابيا أو سلبيا، وسواء كانت تلك العوامل عائدة إلى طبيعة الوجود الإسلامي نفسه، أو إلى خصائص الواقع المباشر، أو إلى عوامل موضوعية تتعلق بطبيعة الحياة في العالم المعاصر، وما تتّسم به من مكتسبات علمية وتقنية وخصائص ثقافية وحضارية.

ويمكننا أن نلخّص العوامل التي لها أثر على الدعوة الإسلامية في الغرب في النقاط التالية:

1 - إن المتغير الأول هو ظاهرة استقرار المسلمين في المجتمعات الغربية في إطار المواطنة، فبعد أن كان الوجود الإسلامي وجودا عابرا بسبب صفة الهجرة التي غلبت على عموم المسلمين المقيمين في الغرب، بدأ التحول مع الأجيال الناشئة نحو الاستقرار، إذ لم تعد الأجيال المتعاقبة من الأبناء تشعر بأنها دخيلة على هذه المجتمعات، وإنما نشأت في رحمها و تعلمت في مدارسها وتلقت ثقافتها وتعرفت على أعرافها وعاداتها، وهذا من شأنه أن يجعلها تتعامل معها من منطلق يختلف عن منطلق الوافد الذي يرى نفسه دائما أجنبيا عن المجتمع الذي انتقل إليه. هذه النظرة للذّات مهمّة لأنها تضع الإنسان المسلم في وضع من الاستقرار النفسي والاندماج المجتمعي. نعم، إن المجتمعات الغربية في عمومها لم تتطور بعدُ في نظرتها إلى المسلمين على أنهم قد أصبحوا يكوّنون جزء أصيلا من كياناتها، ولكن هذا الأمر سيتغير تدريجيا مع مرور الزمن.

وإن من وراء استقرار المسلمين كموكّن من مكونات المجتمعات الغربية استقرار الإسلام، الذي أضحى في كثير من المجتمعات الغربية يمثّل الديانة الثانية للبلد، فلم يعد الإسلام دينا هامشيا وإنما هو دين عدد هام من أبناء المجتمع، ولهذا الوضع مقتضياته وتبعاته. ولذلك نرى اليوم العديد من الدول الغربية تهتم بالشأن الإسلامي وما يتعلق به من إقامة دور العبادة والمرافق المختلفة وتمثيل المسلمين كمجموعة دينية ليكون لهم من يتحدث باسمهم ويدافع عن مصالحهم لدى أجهزة الدولة المختلفة، على غرار الأديان الأخرى المستقرة.

2 ـ **ومن المتغيرات الحاصلة على مستوى الوجود الإسلامي، ما نراه من تطلّع للأجيال الإسلامية الجديدة إلى أن يكون لها مواقع اجتماعية متقدمة في مجتمعاتها،** فالشاب الذي ينطلق من منطلق المواطنة لا يرضى أن يُعامل كمواطن من الدرجة الثانية، وإنما يطمح أن يكون له وضع اجتماعي يختلف عن الوضع الذي عرفه أبوه أو جدّه. إن الشاب المسلم تخلص في تعامله مع المجتمع من عقدة الإنسان الأجنبي الوافد، الذي يرضى بما يُعطى له ولا يطالب بحقوقه حتى لو ناله الهضم. إن هذه النظرة من الشباب قد تصطدم بواقع صعب في تعامل المجتمع الذي لا ينطلق من نفس المنطلقات، ولكن الأوضاع مدعوة إلى التغيّر، وهو ما تسعى له كثير من الدول الغربية عن طريق إقامة مؤسسات تعمل على تحقيق العدل والتكافؤ في الفرص، وسيحتاج الأمر إلى جهود مضنية وسيتطلب وقتا ولكن لا مناص من التغيير، خصوصا إذا استطاع هؤلاء الشباب أن يثبتوا جدارتهم من الكفاءة والاقتدار في مجالات الحياة المختلفة.

3 ـ **من العوامل المؤثرة على الوجود الإسلامي في الغرب، ما تعيشه مناطق عديدة في العالم الإسلامي من أوضاع متوترة وما تعرفه بعض المناطق من احتكاك مباشر مع السياسة الغربية التي تمارس دورها كقوى عظمى في العالم.** ولا شك أن هذه السياسات تحكمها في أغلب الأحيان المصالح المادية في إطار التسابق على مواطن النفوذ في العالم. وإن اختلال موازين العدل في التعامل مع القضايا الساخنة في العالم

الإسلامي، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، يُحدث نوعا من الفجوة بين هذه السياسات وبين طبيعة الانتماء إلى المجتمع الذي ينتمي إليه الشاب المسلم، وقد يؤدي هذا الوضع إلى حالة من الانفصام الصعب الذي يعيشه البعض على مستوى المشاعر وربما المواقف، ولا يمكن حلّ هذه المعضلة إلا من خلال نظرة عميقة تجعل المسلم مندمجا في مجتمعه وفيا في انتمائه له، ولكن بذات الوقت يعمل على تحريره من الموقف السلبي الذي يجعله يستسيغ سياسة الكيل بمكيالين، ويتعامل مع قضايا المسلمين من منطلق الانحياز السلبي ضدهم.

4 ـ أثر العولمة الاقتصادية والثقافية على المجتمعات البشرية وما ينشأ عنها من اختلال في التوازن العالمي بين الشعوب والحضارات، ووجود العالم الإسلامي في دائرة التهميش والتبعية، يفقد الوجود الإسلامي في الغرب ثقل بُعده الإسلامي العالمي. إن المسلمين في الغرب باعتبارهم أقليات لا يمكن أن تنقطع صلاتهم بإخوانهم في العالم الإسلامي أخذا وعطاء، وكلما كانت الشعوب الإسلامية لها من العطاء الثقافي والحضاري الذي يعكس خصائصها ومبادئها، كلما كان ذلك أدعى إلى التوازن والإثراء المتبادل، ولن يتحقق ذلك إلى من خلال وضع ضوابط تحدّ من هيمنة عولمة طاغية.

إن العمل من أجل السلم والاستقرار في عالمنا المعاصر، يقتضي مراجعة السياسات العالمية المتبعة لتكون أقرب إلى العدل والإنصاف، وليست الدعوات التي تنطلق لإصلاح أوضاع الهيئات الدولية، كالأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، إلا تعبيرا عن هذا القلق الذي تعيشه كثير من شعوب العالم اليوم وترجو معالجة أسبابه بمنطق العقل والمصلحة المشتركة في إطار السلم والتعاون المشترك بين الشعوب والأمم.

5 ـ الأحداث الإرهابية التي تحصل سواء في العالم الإسلامي أو في الغرب وأثرها السيئ في ترسيخ الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين، إذ أن هذه الأحداث، بقطع النظر عن أسبابها وعن حقيقة الذين يقفون وراءها، قد تجد من المسلمين، ولو كانوا قلة قليلة، من يتبناها ومن يدافع عنها، باعتبارها في رأيهم شكل من أشكال مقاومة الضعيف الذي

لا يملك من أسباب القوة المكافئة ما يجعله يواجه الظلم والحيف. ولكنه مع الأسف نرى أن هذه الأحداث قد نشأت من ورائها تداعيات سلبية على المسلمين وعلى الدعوة الإسلامية، وقد أصبحت اليوم العديد من الدول الغربية تسن قوانين، في إطار مكافحة الإرهاب والتصدي لأسبابه، ستؤدي مع الوقت إلى التضييق من حرية الممارسة الدينية للمسلمين. لا يمكننا أن نرفض حق الدول الغربية في حماية أمنها واستقرارها، والمسلمون معنيون هم كذلك بحفظ الأمن والاستقرار، وهو من واجباتهم كمواطنين صالحين، ولكن نسبة الإرهاب إلى المسلمين يؤدي حتما إلى توسيع دائرة الاتهام أو الشك وتزعزع الثقة لتشمل كل المسلمين، وربما يكون لبعض الجهات المُغرضة مصلحة في ترويج مثل هذه الأفكار لعزل المسلمين في مجتمعاتهم.

6 ـ أزمة الهوية التي يعيشها الكثير من أبناء الشعوب الغربية، بسبب ما عرفته مجتمعاتهم من تحولات حضارية أدّت إلى تهميش دور الدين والقيم الأخلاقية في بناء مؤسساتها وإدارة واقعها الاجتماعي، وقد أنتجت هذه الأزمة حالة من الخوف على النفس والخوف من المستقبل، وبالتالي الخوف من الآخر المخالف الذي يمكن أن يكون مصدر تهديد للمكتسبات وما بقي من الأعراف المستقرة. إن هذه الوضع هو الذي يفسّر، ولو جزئيا بعض المواقف العنصرية التي يعبّر عنها البعض في وجه من يراهم مخالفين أو مكتسحين يريدون تغيير طبيعة المجتمع، وإن خلاصة النظرة المستقرة في الأذهان هي أن الإسلام يشكّل هذا التهديد للهوية الغربية، التي ترى أنها قد حققت عبر معاناة تاريخية طويلة مكسب الإنعتاق من الدين، وإذا كانت قد انعتقت من سلطان الكنيسة، فلا يمكن أن تقبل بتأثير دين آخر تراه دخيلا عليها.

إن هذه الأزمة تُلقي بظلالها على المسلمين أيضا، باعتبارهم جزء من المجتمع، وخصوصا في النظرة إلى الدين ومكانته في حياة الناس.

إن المسلمين مدعوون للتعامل مع أزمة الهوية تعاملا المتفهّم الحكيم، والإسلام إذا أحسنا عرض قِيَمه الإنسانية يمكن أن يشكّل إثراء لهذه الهوية دون أن يُلغي مكاسبها وإنجازاتها الكثيرة في مختلف مجالات الحياة.

7 ـ تطور وسائل الإعلام وتنوعها وتوسّع نطاق تأثيرها، يُعدّ من سمات المجتمعات الغربية المعاصرة، ويشكّل هذا الأمر حجر الزاوية في فهم كثير من التحولات التي تعيشها هذه المجتمعات وما ينشأ عنها من تأثير في موازين القوى. إن كثيرا من المعارك الفكرية والسياسية يتمّ حسمها إعلاميا قبل أن تحسم بالقرارات والتوجهات، بل إن رجال السياسة، وهم المسئولون عن إدارة شؤون الدولة، كثيرا ما يخضعون إلى سلطان الإعلام ويحاولون تكييف مواقفهم وسياساتهم، بحسب الاتجاه العام الغالب الذي يرسمه الإعلام ويجعل منه حقائق ثابتة. إن الأفراد مهما كان نفوذهم، وكذلك المجموعات، في ظل المجتمعات الغربية المعاصرة، لا يمكن أن يكون لها أثر في مجريات الأمور، ما لم يكن لها من سلطان الإعلام نصيب.

وعندما نعلم أن صورة الإسلام في عدسة الإعلام صورة سلبية ندرك أنه من التحدي الكبير أن يكون للدعوة الإسلامية الأثر المرجو منها في ظلّ هذا الواقع الصعب.

مستقبل الدعوة في ظل هذه المتغيرات:

إن الدعوة الإسلامية مدعوة للتفاعل مع هذه المتغيرات من أجل تفعيل دورها وأداء مهامها الشرعية المنوطة بها، وذلك على الصعيد الإسلامي الداخلي وعلى الصعيد المجتمعي الخارجي.

أولاً: على الصعيد الإسلامي:

إن المهامّ المطلوبة من الدعوة الإسلامية لصالح المسلمين في الغرب تدور حول المحاور التالية:

1 ـ العمل على ترسيخ الفهم الإسلامي الوسطي:

إن الفهم هو منطلق العمل، وكلما كان الفهم سليما كلما كان العمل مسدّدا، وإن من أعظم الخصائص التي يجب الحرص عليها في الفهم الإسلامي خاصية الوسطية التي تنأى عن

الغلوّ المنهي عنه وعن القصور المحذّر منه. ولقد امتدح الله تعالى هذه الأمة أن جعلها أمة وسطا حتى تستطيع أن تُقيم الشهادة بالحق على الناس:

يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾البقرة: ١٤٣ .

يقول ابن جرير الطبري في تفسير لهذه الآية: (قال أبو جعفر : وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل وسط الدار... وأرى أن الله تعالى ذِكره، إنما وصفهم بأنهم وسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهّب، وقِيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه)[3]

وذكر البغوي في تفسيرها: (قال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير، لأنهما مذمومان في الدين.)[4]

وجاء في تفسير القرطبي: (وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم . والوسط : العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها. وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عدلاً، قال: هذا حديث حسن صحيح. وفي التنزيل: "قال أوسطهم" أي أعدلهم وخيرهم. ووسط الوادي : خير موضع فيه وأكثره كلأ وماء. ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً، أي هذه الأمة لم تغل غلوّ النصارى في أنبيائهم، ولا قصّروا تقصير اليهود في أنبيائهم، وفي الحديث: (خير الأمور أوسطها) . وفيه عن علي رضي الله عنه : عليكم بالنمط الأوسط ، فإليه ينزل العالي، وإليه يرتفع النازل.)[5]

وذكر البيضاوي في تفسير الآية: ("جعلناكم أمةً وسطاً" أي خياراً ، أو عدولاً مزكين بالعلم والعمل. وهو في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب ، ثم

---

[3] ـ تفسير الطبري
[4] ـ تفسير البغوي
[5] ـ تفسير القرطبي

استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط، كالجود بين الإسراف والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن)[6]

إن خاصية الوسطية من أهم الخصائص التي يجب الحرص عليها في فقه الدين حتى نتجنب آفتي الغلو والتقصير، وهو ما نراه في واقع المسلمين مع الأسف، إذ أن هناك من يقع في التنطع باسم الحرص على الدين وحسن الالتزام به، فيكلف نفسه ما لا يطيق وينفّر الناس من دين الله تعالى بسوء فهمه، وهناك من يقع في التقصير ويريد أن يبرّره على أنه اجتهاد سائغ مع أنه يفتقر إلى الدليل وإلى النظر السديد.

وإن من الوسطية أن يتصدى لأمر التعليم والتوجيه والفتوى الثقاة من أهل العلم، الذين جمعوا بين الفقه الشرعي وبين معرفة الواقع واستيعاب مقتضيات العصر.

2 ـ العناية بالتحصين التربوي والتهذيب الروحي:

إن المسلمين في الغرب بحكم وجودهم كأقليات في مجتمعات مادية، يحتاجون إلى عناية كبيرة فيما يتصل بالجوانب التربوية والروحية، إذ أن الإنسان لا يمكن أن يستمرّ التزامه بالدين ما لم تتعمّق لديه معاني الإيمان والأخلاق الإسلامية، وهذا الأمر يحتاج إلى عمل دائم وإلى تذكير مستمرّ، كما قال تعالى: " وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين" ـ الذاريات الآية 55ـ كما أن التهذيب التربوي والخلقي يُبرز المسلمين في صورة إيجابية تجعلهم بسلوكهم يقدّمون الدليل على عظمة الإسلام وعلوّ مبادئه، وهي دعوة بلسان الحال يفوق أثرها الدعوة بلسان المقال.

ومن أهم المؤسسات التي تخدم هذا الهدف المؤسسات التعليمية، من معاهد شرعية، ومدارس نظامية وتكميلية تقوم على ترسيخ مبادئ التربية الإسلامية لدى النشأ منذ الصغر.

3 ـ الاهتمام ببناء الشخصية الإسلامية المتوازنة:

إن المسلمين في الغرب مدعوون لبناء هوية إسلامية غربية تنطلق من أسس الإسلام وتجمع إليها مقتضيات الاندماج الإيجابي في المجتمع.

---

[6] ـ تفسير البيضاوي

إن المسلم الغربي مدعوّ إلى تجاوز عقدة ازدواجية التعارض في الانتماء بين ما عليه من واجب الولاء لدينه، وبين ما يقتضيه منه عقد المواطنة الصالحة في المجتمع من العمل من أجل الصالح العام والحرص على استقرار البلد وأمنه، وقد يظن البعض أن هناك تعارض بين الأمرين ، ولكن المتأمّل في مبادئ الإسلام لا يجد أي تعارض بينهما، فالإسلام يدعو المسلم إلى احترام عهوده ومواثيقه مع غيره، وليست المواطنة إلا عقد يرتبط به الإنسان مع غيره. كما أن المتأمّل في تاريخ المسلمين يجد أنهم لم يجدوا حرجا في العيش كأقلية وفية في مجتمع لا يدين بدينهم، وما مثال المسلمين المهاجرين الأوائل إلى الحبشة إلا دليل على ذلك.

ذكر ابن هشام في سيرته في حديث أم سلمة رضي الله عنها، تحت عنوان: " فرح المهاجرين بنصرة النجاشي على عدوه ":

(... قالت فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه . قالت فوالله ما علمتنا حزنّا حزنا قط كان أشد (علينا) من حزن حزناه عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه .

قالت وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل، قالت فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت فقال الزبير بن العوام : أنا، قالوا: فأنت، وكان من أحدث القوم سنا، قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده. قالت فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكّن له في بلاده. قالت فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها .

قالت ورجع النجاشي، وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .)[7]

4 ـ العناية بالأسرة:

إن العمل على حفظ كيان الأسرة يعدّ من أوكد الواجبات التي يحتاجها المسلمون في الغرب، إذ أن الأسرة يقع على عاتقها دور كبير في بناء الأجيال الصاعدة بناء تربويا وروحيا وسلوكيا ونفسيا، وإذا ما قصرت الأسرة في أداء هذا الدور، فإن الخلل سيكون كبيرا. وإن الناظر إلى أوضاع المسلمين في الغرب يجد أن الأسرة المسلمة، لا تمتلك من أسباب القوة والاستقرار ما يرشحها للقيام بوظيفتها على أحسن وجه، بل إن كثيرا ما تعاني من مشكلات داخلية بسبب ضعف الانسجام بين الزوجين، وبسبب عدم القدرة على التواصل والحوار الناجع مع الأبناء، مما يؤدي في أحيان كثيرة إلى تعقيد المشكلات وترك الأبناء نهبا لتيارات الانحراف التي تتلقفهم في المجتمع.

ولذلك فإنه من الضروري أن تكون هناك مؤسسات اجتماعية تهتم بشؤون الأسرة المسلمة، وتكون مرجعا لها تعود إليها لمساعدتها على تخطي ما يعترضها من مشكلات، وتقوم أيضا بوظيفة الإصلاح والتحكيم الأسري، حتى لا تكون عرضة للتصدع والتفكك.

5 ـ الاهتمام بالمجال الثقافي والترفيهي:

يعيش المسلمون في الغرب في مجتمعات تُولي اهتماما كبيرا للجوانب الثقافية والترفيهية، وقد يجد الشاب المسلم نفسه في بعض الأحيان، إذا أراد ممارسة أنشطة ثقافية وترفيهية، في أجواء غير مُريحة، ولذلك فإن الشباب المسلم وكذلك الأسر المسلمة تحتاج إلى فضاءات ثقافية وترفيهية يتحقق فيها مغزى الترفيه وممارسة بعض الهوايات الرياضية أو غيرها، دون الشعور بحرج أو مضايقة. ويمكن أن يتحقق هذا الأمر من خلال إقامة بعض النوادي

[7] ـ سير بـ هشا لمجا لأ ل، ورواه أحمد وصححه احمد شاكر في تعليقه على المسند، وأخرجه أبو نعيم في الحلية بسند صحيح، وأورده إبراهيم العلي في كتابه: صحيح السيرة النبوية

الرياضية والثقافية، وتأسيس المؤسسات الشبابية والكشفية، إلى جانب ما يمكن الاستفادة منه تربويا في سياق هذا النشاط الثقافي والترفيهي.

ثانياً : على الصعيد العام:

1 ـ مراعاة التعددية الدينية والفكرية واعتبار عامل الحرية:

لابد الدعوة الإسلامية في الغرب أن تأخذ بعين الاعتبار، أنها تتحرك في مجتمعات تعددية في انتماءاتها الدينية والفكرية، وهي بالتالي ترفض لأي دين أو فكرة أن تتدعي لنفسها الانفراد بالصواب، فكيف يمكن للمسلم أن يعتقد عن يقين بصحة دينه، دون أن ينفي حق غيره في أن يعتقد ما يشاء وأن يظن نفسه على الصواب؟ إن اعتقاد المسلم بأنه على الحق الذي جاءه من عند الله تعالى، لا يمنعه أن يُقرّ بحق غيره في أن يخالفه وأن يكون معتقدا لدين آخر، وقد نهى الإسلام عن الإكراه وأقرّ حرية الإنسان في اختيار معتقداته، بل إن القرآن الكريم قد علّم النبي صلى الله عليه وسلم، في خضمّ جداله مع المخالفين له، أن يقول لهم: " وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين " ـ سبأ 24 ـ، حتى يترك باب الحوار معهم مفتوحا بافتراض جدلي أن يكونوا هم كذلك على هدى، مع يقينه الكامل بالحق الذي جاء به من عند ربه.

وإن من مقتضيات التعددية الدينية تفعيل الحوار الديني مع أصحاب الديانات الأخرى، وهو ما يلتقي أيضا مع التوجيه القرآني الداعي إلى محاورة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، في مثل قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ العنكبوت: ٤٦ .

ويرتبط بمسألة التعددية مفهوم الحرية الذي غدا مفهوما مقدّسا في الذهنية الغربية، فالإنسان حرّ في التعبير عما يريد، وقد يمسّ هذا التعبير أحيانا بمقدسات الآخرين، بل إن فهم البعض للحرية يجعلهم يرون في التعبير الديني العلني مسّ بحرية الآخرين، ويعتقدون أن ذلك يشكّل نوعا من الضغط النفسي على غير المتدينين يتنافى مع مبدأ حرية الاختيار. وهذه

لا شك إحدى المفارقات الصعبة التي يواجهها أصحاب الأديان بخصوص هذه الرؤية لبعض "المتطرفين من دعاة الحرية"، إذ أن التعبير الديني هو جزء مهمّ من حق الحرية الذي يجب أن يتمتع به كل مواطن بقطع النطر عن معتقدة الديني أو انتمائه الفكري، دون أن يهدّد حرية الآخر في اعتناق واعتقاد ما يريد.

وعليه فإن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى حكمة كبيرة في التعبير عن نفسها دون أن تُتّهم بممارسة الضغوط على الآخرين، أو ادّعاء احتكار الحق.

2 ـ تطوير الخطاب الديني مضمونا وصياغة:

إن الدعوة الإسلامية تتجه إلى الناس من خلال الخطاب بوسائله المختلفة، وكلما كان الخطاب واضحا، عميقا، مراعيا لعقلية المخاطب، قوي الحجة، كان قبوله أيسر وأثره أعمق.

وإن من مقتضيات النجاح للخطاب الإسلامي، أن يُجيب على عدد من الإشكالات المثارة في الساحة الغربية، والتي تحتاج إلى أجوبة واضحة ومقنعة، ويمكننا أن نعدّد من بين هذه القضايا:

ـ قضية الموقف من الآخر، وكيف ينظر المسلم لغيره ممن يخالفه في الاعتقاد؟ هل يقرّ بحريته؟ وما هي طبيعة الحقوق التي يجب أن يتمتع بها غير المسلم في المجنمعات الإسلامية؟ وهل يزال المسلمون يعاملون غير المسلمين في بلادهم تحت مسمى أهل الذمة، أم أن عقد المواطنة هو الذي يجمع الجميع في إطار الوطن الواحد؟

ـ قضية الحرية الدينية، سواء في اعتناق الدين أو في الخروج منه، إذ أن تحريم الردّة في الإسلام من المسائل التي يتوقف عندها الغربيون، لأنهم يجدون فيها منافاة لمبدأ حرية الاعتقاد، خصوصا وأن الميثاق العالمي لحقوق الإنسان ينص بوضوح على حرية الإنسان في اعتناق أي دين شاء وفي تغيير معتقده متى شاء.

ـ قضية علاقة الدين بالسياسة، وكيف أن الإسلام يعرض نفسه كمنهج حياة يعتني بكل مجالاتها بما في ذلك المسألة السياسية، إذ أن العلمانية الغربية تعتبر أن الدين لا شأن له

بتنظيم شؤون المجتمع العامة، وأن الشعب يقرّر لنفسه، عن طريق البرلمان وفي المؤسسات الديمقراطية القوانين والتشريعات التي تحكمه. ومع أنه ليس واردا عند المسلمين في الغرب أن يطالبوا بتطبيق الشريعة الإسلامية في ظل مجتمعات غير إسلامية، إلا أن المسألة تظل مطروحة من الناحية المبدئية، إذ أن القناعة التي يُجمع عليها عموم الغربيون، والتي تدعمها التجربة التاريخية في نظرهم، هي أن الدين لا ينبغي أن يتدخل في السلطة السياسية.

ـ قضية المرأة ومساواتها مع الرجل وكفالة حريتها، من القضايا الي يكثر حولها الجدل وينتقد فيها الإسلام وكذلك بقية الأديان، باعتبارها لا تسلّم بحقوق المرأة ولا تحميها من الظلم والحيف، وهذا الموضوع لا يزال الخطاب الإسلامي فيه ضعيفا ويحتاج إلى مزيد من العمق وقوة العرض، بحيث يكون قويا ومقنعا، وإن مما يزيد الطين بلة في هذه القضية وجود بعض الأصوات النسائية، لمسلمات أو من أصول مسلمة، تقدم شهادة عن ظلم المسلمين للمرأة وحرمانها من حقوقها، وإن ذلك التعامل يستند في نظرهم إلى مبادئ الإسلام، لأنه لم يسوّ بين الرجل والمرأة في الحقوق وأقر ضرب المرأة، إلى غير ذلك من المسائل التي تُثار بهذا الخصوص. ومع ضرورة الردّ على هذه القضايا، إلا أنه يجب التنبيه على أن كثيرا من العادات الخاطئة التي يتمسك بها بعض المسلمين، إلى جانب بعض الممارسات السيئة لبعضهم مما يرسخ هذه الصورة السلبية.

هذه القضايا وما يُطرح حولها من إشكالات تحتاج إلى دراسة ومناقشة بأسلوب علمي هادئ، يعتمد الإقتاع العقلي القائم على الحجة المنطقية، مع توخي الموضوعية في التمييز بين مبادئ الإسلام وممارسات بعض المسلمين وعاداتهم كما أشرنا، وكذلك التمييز بين الفهم الإسلامي السليم وبين آراء وتصورات بعض المسلمين التي لا تُلزم الإسلام بالضرورة، فكلّ يؤخذ من كلامه ويردّ إلا المعصوم عليه الصلاة والسلام.

3 ـ إتقان التعامل مع وسائل الإعلام الحديثة وحسن استخدامها لتبليغ الدعوة:

لا أحد يجهل اليوم ما لوسائل الإعلام من تأثير بالغ في نقل الأفكار بل الترويج لها بأساليب مدروسة، ومع ما ذكرناه من حساسية التبشير بالأفكار الدينية في الغرب بطرق مباشرة، إلا أن هناك طرقا في عرض الأفكار والمعتقدات يمكنها أن تحمل رسالة هادفة في صيغة مقبولة. ولعل مواقع الإنترنت والبرامج الثقافية والتظاهرات الفنية من الأساليب المناسبة، التي يمكن استخدامها في مجال الدعوة.

4 ـ التواصل مع مؤسسات المجتمع المدني:

إن الدعوة إلى الإسلام لا تتمّ فقط من خلال الخطاب الدعوي، وإنما تتم كذلك من خلال المعايشة اليومية في المجتمع، والمجتمعات الغربية لها تقاليد راسخة في إقامة مؤسسات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية يلتقي فيها الناس بناء على اهتمامات مشركة، أو قناعات مشتركة، أو للنضال من أجل حقوق مشتركة، ويمكن للمسلم أن يتواصل مع هذه المؤسسات، حيث يلتقي فيها بغيره وتُتاح له من وراء ذلك، فرصة طبيعية للتعارف والتبادل الفكري والثقافي مع غيره. وتعتني هذه المؤسسات بالمشكلات البسيطة التي يعيشها المواطن في حيّه، من خلال لجان الأحياء ولجان أولياء التلاميذ في المدارس...وصولا إلى القضايا الكبرى المتعلقة بحقوق العمال في إطار النقابات والجمعيات، والقضايا العالمية التي تعنى بها تجمّعات متحركة بخصوص مسألة العولمة مثلا وتداعياتها في عالمنا المعاصر، إلى غير ذلك من القضايا الكثيرة التي يمكن أن يلتقي فيها المسلم مع غيره وينخرط معه في عمل مشترك من أجل المصلحة العامة.

5 ـ تفعيل العمل البحثي حول الإسلام اجتماعيا وحضاريا:

إن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى دعم في مجال البحث من خلال تناول الوجود الإسلامي في الغرب، وإبراز إسهاماته في بناء المجتمعات الغربية، وكذلك إبراز الإسهام الحضاري الذي قدّمه المسلمون للحضارة الإنسانية عبر التاريخ، وكم كان لبعض المعارض التي تعرّف بالتراث الحضاري الإسلامي والتي عقدت في بعض الدول الغربية، من تأثير في تغيير

النظرة السلبية عن الإسلام والمسلمين، إذ أن الكثير من هذا التراث يجهله الكثيرون، ولا نقول من الغربيين فقط، بل حتى من المسلمين كذلك، وخصوصا الأجيال الجديدة من أبنائهم الذين لم يتسنى لهم أن يقفوا على معرفة التراث الحضاري الإسلامي الضخم.

هذه إذن بعض المجالات التي يمكن أن تتجه إليها الدعوة الإسلامية في الغرب، حتى تكون أقدر على التعامل مع المتغيرات والوفاء بالمتطلبات في ظل مجتمعات، أصبح الإسلام فيها، يشكّل قضية من أبرز القضايا التي ينشغل بها مفكروه وإعلاميوه وسياسيوه. وإن الدعوة الإسلامية لا يمكن أن تأخذ مسارها الإيجابي إلا في ظل التواصل والحوار، مع الحرص على ضمان الأمن والاستقرار في المجتمع. وإن مما يساعد على ذلك، أن يتعامل المسلمون مع مجتمعاتهم الغربية من منطلق المواطنة الصالحة، التي تجعلهم حريصين على خدمة المصلحة العامة والإسهام في الإثراء والنفع.